بعد أن روت قوله صلى الله عليه وسلم: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد» فهي ترى رضي الله عنها أن دفنه صلى الله عليه وسلم في بيتها وبيته - وهو
بناء وحائط - إنما كان تحرزاً من اتخاذ قبره مسجداً وفراراً من استحقاق اللعنة التي استحقها
من اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد من اليهود والنصارى. فهي إذن ترى هذا غير هذا وترى أن
هذا ليس مثل هذا بل تراه مباينا له مخالفا. بل ترى أن هذا مما اتقي به ذاك، وهذا لا يكون
ولا يتأتى إلا إذا كان مخالفا له مخالفة مضادة. والفرق عظيم بين أن ترى السيدة عائشة دفن
الرسول عليه الصلاة والسلام في بيتها المبني ضمانا من اتخاذ قبره مسجداً الملعون فاعله وبين أن
يرى الشيخ أن هذا مثل هذا وأنه يدل عليه ويدل له. وقد تقدم أن أهل العلم قد فهموا ما
فهمته عائشة وقالوا ما قالته: ومما يدل على الفرق العظيم بين الأمرين أن الناس كلهم يفهمون
أن بينهما فرقا عظيما هائلا بين أن يقام جدار على ~~القبر~~ المقبرة ليحفظها من الوطء ومن العدوان
فيها للإفساد والعبث واقترافا للحرام والإثم، وبين أن تقام قباب أو مساجد أو بنايات
أخرى على القبور تعظيماً لها واعتناء بها، ولهذا فإن الذين يمنعون البناء على القبور ويحرمونه
ويعدونه اعتداء وعصيانا ومخالفة للرسول وسنته لا يمنعون إقامة الجدار على المقبرة ولا ينكرونها
ولا يتحرجون منها لما ذكرنا وهذا لأن بينهما فرقا واضحا عظيما فلا هما سواء، وإقامة
الجدار على المقبرة لا يفهم أحد من الناس أن فيه من المعنى والمحذور والقصد بل والصورة والحقيقة
مثل ما في إقامة القباب والمساجد والأنوار والمعلقات على قبور الصالحين أو الطالحين. وكل الناس
يعلمون أن إقامة الجدار لا محذور فيه ولا يرمي إلى غلو ولا باطل ولا شرك بالله ولا خروج
عن حد الاعتدال المطلوب في الاعتقاد والتقديس والعمل والمعاملة وأما القباب والمساجد
والأنوار والمعلقات ففيها كل المحذور وكل الضرر وكل الفساد والإفساد وكل ذلك واقع وحادث.
فلا هما سواء. وأيضا الناس جميعا يعلمون أن الجدار الذي يقام على المقبرة ليس تابعا للقبور ولا
متعلقا بها ولا محيطا بالحقيقة عليها وإنما هو كالحاجز والفاصل بينها وبين أشياء أخرى.
وهذا بخلاف القباب والمساجد المقامة على القبور المشيدة فوقها. ولهذا فإن هدم الجدار
المقام على المقبرة لا يسمى اعتداء عند هؤلاء على الأولياء والصالحين وعلى قبورهم ولا هدما لها
أما هدم القباب والمساجد المقامة على ~~القبور فإنه عندهم~~ قبور الصالحين والأولياء فإنه عندهم عدوان
صريح على الصالحين والأولياء وعلى قبورهم. وهم يغضبون من هدم هذه ولا يغضبون من هدم
ذاك. وهذا لأنهم يجدون فرقا واضحا جليا بين الأمرين. فلا هما إذن سواء... وهذا
والأحاديث تفرق مفرقة بين الأمرين واضحة التفريق. فهي كما تقدمت نصوصها تقول «لعنة الله
على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وتقول: «أولئك إذا مات فيهم الرجل
الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»
وتقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور
مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» وتقول: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء
والذين يتخذون القبور مساجد» وتقول «لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد
والسرج» وتقول «نهى رسول الله عن البناء على القبور» وتقول «لا تدع قبرا مشرفا
إلا سويته» وتقول أمثال ذلك. وهذه النصوص كلها واضحة في أن المذموم المنهي عنه
هو بناء المساجد على القبور واتخاذها مساجد وهو البناء عليها أيضا ~~...~~ واتخاذ السرج والأنوار
وما يلحق بها ~~...~~ فوقها. ولا يدخل في ~~...~~ نصها ولا في معناها أن يدفن الرجل في بيته
المبني أو أن يوضع سور عليه لئلا يصل إليه من يخاف وصوله إليه أو ضلاله أو إساءة أو نحو ذلك
بل هذا غير هذا من كل وجه. وعلى كل حال فنحن لا نمنع هذا الذي فعل بالقبر النبوي من الدفن في
الحجرة ومن تسويره بالجدار وإنما نمنع إقامة القباب والمساجد والبنايات على القبور وطرح المعلقات